بحوث جامعية

مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بصفاقس

العدد 1 لسنة 2001

بحوث جامعية — مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بصفاقس — العدد 1 لسنة 2001

"Buḥūṯ Jāmiᶜiyya"

Recherches Scientifiques

Academic Research

Revue de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Sfax
Journal of the Faculty of Letters and Humanities, Sfax

Numéro 1 - 2001
Number 1 - 2001

بحوث جامعيـــــــة

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس

العدد الأول – جانفي 2001

مجلة بحوث جامعية

الإدارة والتحـــــــرير

العنوان : طريق المطار كلم 4.5 – 3029 صفاقس

العنوان البريدي : ص.ب. 553 3000 صفاقس

الهاتف : 557 670 (04) 216 – 558 670 (04) 216

الفاكس : 540 670 (04) 216

البريد الإلكتروني : MedAli.Halouani@ Flsh.rnu.tn

المدير المسؤول : **محمد رجب الباردي**

رئيس التحريـــر : **صالح الكشـــــو**

نائب رئيس التحرير : **محسن ذيـــــاب**

هيئة التحرير :

- **محمد علي الحلـــواني**
- **محمد رجب البـــاردي**
- **نور الدين الكـــــراي**
- **محمد الطاهر المنصوري**
- **محمد العزيز نجاحـــي**
- **محمد صالح المراكشي**
- **محمد صالح الكشـــو**
- **منيـــر التريكـــــي**
- **محســـن ذيـــــاب**
- **لسعـــد الجموســـي**

سعر الاشتراك السنوي :

تونس وأقطار المغرب العربي : 6 د.ت + 2 د.ت (معلوم البريد) = 8 دينارا تونسيا

الأقطار الأخرى : 10 دولارا أمريكيا + 5 دولارا (معلوم البريد) = 15 دولارا أمريكيا

ترسل قيمة الاشتراك بحوالة بريدية أو بصك بنكي باسم مقتصد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس – الحساب الجاري بالبريد 294823 مع ذكر عبارة **"اشتراك في مجلة بحوث جامعية "**.

مذكرة للناشرين في المجلة

* "**بحوث جامعية**" مجلة محكمة تصدر كل 6 أشهر في مجال الآداب والعلوم الإنسانية
* لايزيد عدد صفحات البحث الواحد فيها عن 25 صفحة مرقونة.
* ترقن البحوث فيها بتلخيص في اللغات الثلاث التالية : العربية والفرنسية والانجليزية.
* المواصفات المادية للبحوث ينبغي أن تكون وفق نظام "وورد" Word (مع الإسطوانة الحاملة لاسم صاحب البحث).
* ينبغي أن تكون الإبانات كالخرائط والرسوم والصور في شكلها وحجمها النهائيين.
* يفرد باب قار للقراءات (على ألا تتجاوز القراءة الواحدة 5 صفحات مرقونة).
* تلتزم هيئة تحرير المجلة بإعلام المساهمين بقبول بحوثهم لمراجعتها حال تسلمها تحكيما إيجابيا ولاتعاد إليهم في حال عدم نشرها.
* الآراء المنشورة لاتلتزم إلا أصحابها.
* المساهمة في المجلة مجانية. ويحصل أصحاب المقالات المنشورة على 3 نسخ من المجلة.

هيئة التحريـــــــــر

من أجل استعمال المنهج الكمي لدراسة التراث العربي المكتوب
الحركات في عهد بني أمية أنموذجا[1] .

عبد الحميد الفهري*

يمثل إستعمال المناهج الكمية في الدراسات حول المادة المدونة في التراث العربي أحد مداخل تطوير قراءة الإستغرافية العربية[2] وتجاوز حقيقي وعملي للمناهج التقليدية لذلك اعتمدنا النظرية الكمية في العلوم الحديثة لتطويع تاريخ الإسلام وتخصيصا تاريخ قادة الحركات الشيعية . فعلى عكس وجهة النظر القائلة بعجز المدونة العربية عن استيعاب المناهج الحديثة، فإن جملة من الدراسات النظرية والتطبيقية قد أقامت الدليل على قدرة المصادر العربية على التكيف مع المناهج العلمية، ولاسيما المنهج الكمي، وهو مايعني إدماج دراسة المكتوب من تراثنا في حقلين متقدمين في ذات الوقت.

أولا : فرض المنهج الواضح المنزل ضمن العلوم المنهجية الحديثة عند تناول الباحثين الاستغرافية العربية وقطع السبل أمام المتطفلين المعتمدين أساليب البحث الروتيني المتبلد .

ثانيا : حمل الباحثين على ضبط المنهج الذي اختاروه والعمل على تأسيس إتجاهات منهجية توافق خصوصيات وطبيعة الوثيقة التراثية العربية .

ويتأتى الإصرار على توضيح المنهج من خلال ما أثبتته الدراسات النظرية والميدانية من افتقاد العمل غير المستجيب لمنطق واضح عند تنظيم الأفكار والمعطيات لكل امكانات التأسيس لإبداع متجدد[3] وهي من أكبر المآخذ المحسوبة على الدارسين الشرقيين للتاريخ العربي والإسلامي وذلك لإهدارهم قدراتهم في تكرار ما في المصادر بتغيير أشكال الكتابة لاغير .

---

* عبد الحميد الفهري : أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

(1) هذا المقال يلخص المنهج الذي اتبعناه في أطروحتنا : أصول القيادات الشيعية وانتماءاتها الإجتماعية إلى حد نهاية الدولة الأموية تحت إشراف د. هشام جعيط . مرقونة 600 ص . جوان 1989 .

تم تقديم هذا المقال كمداخلة في الندوة الدولية "مكانة العلوم الإنسانية في الثقافة العربية " الإسلامية التي انعقدت بمركز الدراسات الإسلامية بالقيروان بتاريخ 14 - 15 - 16 أفريل 2000 .

(2) انظر مقال Claude Cahen , L'historiographie arabe , Arabica XXXIII , juillet 1986, Fasc. 2 p. 133

(3) Jean Walk , L'historiographie structurelle , éd . Masson , Paris 1990 , p . 316-317

I – البعد المفهومي للمنهج الكمي :

يكتفي العروي بتعريف المنهج بأنه " الطريقة التي تتبع لعرض موضوع "[4] ويمكن أن نضيف بأن المنهج هو النسق المتواتر الذي نعتمده قاعدة متكررة للسيطرة على جملة من المعطيات بفرض منطق داخلي عند تناولها رغم ما يمكن أن تكون عليه من اختلاف وتنوع وتباين لذلك يتأكد لنا بأن لكل مادة وموضوع منهجا أنسب يختلف حسب الأغراض التي نروم تعميقها[5] .

فاستخدام المنهج هو اتباع جملة من التمشيات دون سابق تصور لنتائج جاهزة[6] ولهذا فإن "ديكارت" Decartes عند وضعه لمنهجه القرتيزي إعتبر أن الشك هو سبيل تحقيق الموضوعية لذلك جعل المنهج تقنية إستنباط وتوليد النتائج وذلك باكتشاف المنطق الذي يحتكم إليه موضوع التفكير والتعميق ويفترض حتما اعتماد تمش يتصوره الباحث لسبر أغوار الغموض في مادة دراسته ويكون قدر التمشي والتخطيط صائبين كلما كان الباحث أكثر قدرة على التصور المسبق لمختلف المراحل التي يحتاجها بحثه[7] وحتمي أن يكون اختيار المنطلقات مدروسا بكل دقة وروية ذلك أن الاستنتاجات تكون دائما من طبيعة المنطلقات .

وبفضل توظيف القراءة الديكارتية للمنهجية في الدارسات المتصلة بالعلوم الإنسانية نكون قد تخلصنا أولا من الفكرة الجاهزة القائمة على استغلال الوثائق بشرح ظاهرها واختيار الاستشهادات التي لاتلبي في الواقع إلا افتراضاتنا المسبقة، لننطلق إلى فضاءات منهجية أرحب فيصبح من اليسير تجاوز مجرد استخدام المنهج التعميمي la méthode inductive وما يوافقه من منهج تحليلي la méthode déductive لنمر لاستعمال المنهج الفحصي la méthode expérimentale في العلوم الإنسانية تماما مثلما هو في العلوم الصحيحة .

وهذا يعني أن طرق الاستشهاد بالمقولة الجاهزة وعرض الأفكار الموازية ستبقى مختزلة في صلب التحليل ولكن سيتجاوزها الباحث من أجل إيجاد واستنباط منطق داخلي لفهم وثيقته وذلك بتفكيكها وإعادة تركيبها طبقا للغاية المعرفية والعلمية، وبإخضاعها لمنهجية دقيقة .

---

[4] عبد الله العروي، المنهجية بين الإبداع والإتباع : ضمن نشرية لأعمال ندوة بعنوان "المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية" ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط 1، 1986 ص 9 .

[5] محاولة تأليفية لمفهوم المنهج

[6] André Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, PUF 1ére éd. 1991, p.624

[7] Ibid , voc . Doute p. 249-250

ومن جملة المناهج التي استفدت العلوم الصحيحة التجربة فيها وأقرت منتهى نجاعتها نركز على استخدام المنهج الإحصائي la méthode statistique . ومعلوم أن هذا المنهج ينقسم إلى بابين : باب الإحصاء الوصفي وهو من اليسر والسهولة بمكان إذ أن الباحث لايحتاج فيه أكثر من ضبط معطياته وتحليلها بما هو ظاهر فيها . وباب الإحصاء الرياضي، وهذا الباب الثاني يفترض قيام الباحث بعمليات متعددة لامتناهية تنطلق من معطيات الوثيقة وتركيبها حسب الغايات التي نروم إبرازها وتعطي حتما للباحث إمكانات متعددة للتعميق والتحليل .

والإحصاء هو الأداة العملية لتقييم كل ماهو كمي وقابل للقيس بالرقم أو بأداة تمثيل وتشكيل لإبراز اختلاف الأحجام ذلك أن التاريخ بلا تحجيم وبلا عد وضبط يتحول إلى هذيان لامعنى له[8] .

فيجب أن لايبقى إدراج الرقم والبيان والشكل أمرا مستهجنا عند دراسة التاريخ وسائر العلوم الإنسانية ففي رأي Prigonie[9] أن الرقم في الرياضيات هو صمت وموت ولاشيء أما الرقم في الإنسانيات فهو فرح وترح، أحياء وأموات، أوقات وأزمنة .

ويزيد العالم G.Gudorf من أهمية إقحام الرقم في العلوم الإنسانية بقوله "أن عظمة إقحام عالم الإنسانيات للرقم هي إخراج الرقم من الرياضيات وبالتالي من عالم لاصلة له بالحياة ليضمنه الحرارة الإنسانية "[10] . لذلك فإن استنباط طرق استخراج الكم مرقما أو مشكلا من المصادر الأدبية والعلوم الإنسانية هو إحدى الثورات الهامة لتفجير محتويات المصادر التراثية للإنسانية قاطبة ولاسيما التراث العربي الإسلامي المكتوب .

وقد تفطن الباحث لوكريدج[11] Lokridge منذ مطلع هذا القرن إلى أهمية انتقاء النصوص قابلة التحويل من الحالة الكيفية إلى معطيات كمية يكون ممكنا بواسطتها إستعمال المنهج الإحصائي الرياضي .

---

(8) Voir sur l'importance de la quantification de l'histoire : Noyer (7.M) Numérisation du signe et histoire dans : « Histoire et informatique » Textes réunis par Martine Cocaud P.U Renne, 2, 1994

(9) Prigonie Ilya : Créateur d'une nouvelle méthodologie pour la démarche scientifique : Voir Omar AKTOUF : Méthodologie des sciences sociales et approche quantitative des organisations, Québec P.U.Q HEL Québec 1987 p. 81 .

(10) Idid , p. 92

(11) LEROY Ladury Emmanuel : Le territoire de l'historien , Guallimard, Paris 1987, T . 2p. 15, Voir la révolution quantitative .

ثم انتقلت تقنيات الإستعمالات الكمية من العالم الجديد إلى أوروبا ووجدت عناية فائقة لدى الألمان أولا، ثم لدى الفرنسيين فبذلت مدرسة الدراسات العليا l'Ecole des Hautes Etudes جهودا ضخمة لنشر هذا المنهج واعتماده في حقول البحث الأكاديمي ولعله من البديهي أن يكون هذا الإزدهار إنعكاسا طبيعيا لما عرفته صناعة الحاسوب وآلات التدقيق الألكترونية من دور رئيسي لتسريع نسق إنتشار هذا المنهج وإحكام العمل بواسطته .

غير أنه في البلاد العربية ونظرا للغياب الكامل لمدارس تاريخية واضحة المعالم والأسس فإن استخدام المنهج الكمي مازال محدودا في العلوم الإنسانية رغم أن براهين تطويع المكتوب من التراث العربي بينة وواضحة النتائج، ويرجع ذلك إلى ضخامة مضامين هذا التراث وتماشي كثير من محتوياته مع تقنيات المنهج الكمي، كما هو في علم الأنساب والطبقات والتراجم وأصول القبائل وفروعها. وقد جاءت التطبيقات متناهية الدقة أحيانا، بل قدمت نتائج لم تبلغها في بعض الحالات دراسة التاريخ الديمغرافي الأروبي بالذات[12] رغم الأسبقية المطلقة في استخدام هذه الطرق في الكميات وتقدم البحوث فيها بأشواط كبيرة .

وطبيعي أن نطرح عديد الأسئلة حول هذا المنهج : فما هي قاعدة استعماله وتقنياته ؟

ثم ماهي شروط إستخدامه ؟ أي متى يتيسر إدماج هذا المنهج ؟

وأخيرا يبقى أن نبحث عن إمكانات دمج الطرق الكمية في التاريخ أساسا وفي كافة العلوم الإنسانية عامة وحدود استعمالها .

ولتحقيق الفائدة من الإجابات المتوفرة يستحسن تقديم المسألة في بعدها النظري ثم إرفاقها في كل مرة بجوانب تطبيقية من خلال دراستنا للحركات والفرق في الفترة الأموية وهي مسألة اختلفت حولها الآراء ومثلت غموضا في جل الدراسات الكلاسيكية.

II – مراحل استخدام المنهج الكمي :

نشير منذ البدء أن هذا المنهج لايستقل بذاته عن سائر مناهج البحث الأخرى بل يرافقها ويدعمها ويمثل دائما وسيلة إضافية، فيها إمكانات التطبيق والتوضيح الكافية لإبراز البراهين النهائية. كما أن هذا المنهج لايتيسر إستعماله في كل الحالات ومع كل الوثائق فيكون من شروط استخدام المنهج الكمي وجوب توفر وثائق يكون تحويلها من

(12) A titre d'exemple : Voir les publications de l'Institut de Recherche d'Histoire du Texte (IRHT) sur les études biographiques arabes.

الوضعية الكيفية إلى الوضعية الكمية أمرا ممكنا، لذلك فإن أوكد واجبات الباحث هي التثبت من أن الوثيقة تمثل مصدرا متفقا على صلاحيته كمرجع معرفي مما يفترض إطلاعا على مضمون المصادر الأساسية وفحصا دقيقا للمعطيات المتوفرة فيها ولمنهجية كتابتها ومختلف ملابسات تدوينها . وعند توفر الوثيقة الملائمة يمكن تطبيق المنهج الكمي على مراحل متتالية ومترابطة.

1 – مرحلة التخطيط والتصور: وتكون بدورها على عدة محطات :

أ – ضبط دواعي اختيار المنهج الكمي وتبريره :

من ذلك أن اختلاف الآراء وشدة تباينها حول الحركات الشيعية في الفترة الأموية كان لنا حافزا للبحث عن فيصل نهائي دقيق لتجاوز مايقدمه الباحثون من أن هذه الإنتماءات عربية كما يذهب إلى ذلك عبد الحي شعبان[13] وأعجمية من الموالي بغرض إفساد الإسلام كما يتصور ذلك العقيلي[14] ثم وكذلك من العرب وغير العرب بلا تحديد كما هو عند المستشرقين[15] .

ومما يزيد في الإصرار على استعمال أدوات تدقيق المعرفة لهذه الإنتماءات بصفة حصرية اعتماد كل باحث على جملة من البراهين والإستشهادات من المصادر نفسها وذلك بانتقاء المقولة المدعمة لآراءهم مما يجعل إمكانية ترجيح رأي على آخر شأنا عسيرا لغياب الأدلة القاطعة، لذلك تمثل الطريقة الكمية الفيصل والحكم لمعرفة طبيعة القيادة الشيعية .

ب – اختيار الوثيقة (أو الوثائق) الموحدة :

يتعين بالضرورة أن تكون الوثيقة موحدة لإخضاع المسألة المدروسة لمرجعية تعتمد المنطلقات نفسها حتى تكون أرضية البحث بدورها موحدة وتستند إلى المنطق نفسه في كل الحالات . فعلى سبيل الحصـــــر إخترنـــــا لاستخراج قيادات حركات الشيعة مؤلف تاريخ الأمم والملوك لابن جريـــــر الطبـــــري (تـــ310 هـــ)[16] ويبرر اختيارنا كثرة الروايات وتنوعها ثم تناول جل المصادر الإخبارية اللاحقة هذه

---

[13] الثورة العباسية، بيروت 1981

[14] العقيلي محمد رشيد : الشيعة إلى حد القرن الثاني الهجري عمان 1981 .

[15] نخص بالذكر منهم ولهوزن في الشيعة والخوارج: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام ترجمة ع . بدوي . وكالة المطبوعات، الكويت 1968 .

[16] استعملنا في كامل البحث طبعة دار الفكر بيروت 1979 .

الروايات عن الطبري بالذات، لكن هذا لايمنع من الإشارة ومن التنصيص على أهميتها في كل مرة تيسرت فيها فرص الإطلاع على إضافات في مصادر جديدة .

ج – ضبط مقاييس تحويل المعطى الكيفي إلى معطى كمي :

نقوم بوضع جملة من الضوابط التي يكون على أساسها إنتقاء المعلومة أو المعطى المتوفر في المصادر لتحويلها في الجدول إلى عنصر قابل للتراكم والإحصاء ويكون ذلك بتوحيد قاعدة ترتيبها في الجدول إلى عنصر قابل للتراكم والإحصاء ويكون ذلك بتوحيد قاعدة ترتيبها في الجدول نفسه أو الوادي أو الهامش حسب الأغراض التي نرمي إلى بلوغها . وكمثال تطبيقي حددنا في بحثنا حول الشيعة ماهية القائد في مختلف مستويات الفعل في الحركات الشيعية من رئاسة عشيرة أو جمع أموال أو تولي الدعاية أو تحمل مسؤولية تميز النفر العادي عن سائر الأتباع .

د – تحديد أبواب المقارنة والمقاربة بين المعطيات وأغراضها :

يكون ذلك باستنباط واستخراج الأبعاد القابلة للمقارنة أو التكامل والتواصل فعند استكمال قائمة المشاركين في مستوى القيادة انتبهنا إلى إمكانية تقسيمهم حسب انتمائهم إلى قبائلهم ثم داخل القبيلة حسب انتمائهم إلى عشائرهم وهو مايعطي داخل الحركة الشيعية نفسها إمكانية مقارنة هامة بين مساهمة سائر القبائل ثم العشائر وفي مرحلة لاحقة وعند سحب هذه القاعدة على الحركات يصبح بالإمكان علاوة على المقارنات العمودية في نفس الحركة إمكانية القيام بمقارنات أفقية في مستوى القبائل والعشائر في مختلف أطوار الحركات وبهذا المنهج بالذات استخرجنا مساهمة الموالي ثم العبيد وأخضعنا جميع المعطيات إلى مقارنات لامتناهية واكتفينا في الغالب بما هو أساسي وجوهري .

2 – مـــــرحلـــة الإنجـــاز :

هو طور تحويل هذا التصور إلى عمل إجرائي يسخر الجانب النظري لخدمة البعد التطبيقي ويكون ذلك في مراحل منها[17] :

أ – تحويل المعطيات الكيفية إلى معطيات كمية :

وهي العملية الرئيسية التي نقوم بواسطتها بتطبيق المقاييس المحددة التي إنتقيناها. فنجمع في الجداول التي رسمناها المعطيات المناسبة مقسمة ومرتبة بما يناسبها من إمكانات مقارنة ومقاربة بين العناصر. ومثال ذلك، أننا تحصلنا في بحثنا

[17] انظر الجدول عدد 1 حيث تم اختزال النصوص في المصادر إلى جداول دقيقة .

حول حركات الشيعة في الفترة الأموية على جداول مقسمة حسب القبائل، وداخلها تقسم حسب العشائر ومعها قائمة في الموالي والعبيد وذلك بالنسبة إلى المساهمة القيادية في كل حركة . وعند استكمال الجداول في مستوى كل الحركات نتحصل على قائمات دقيقة اسمية قابلة للمقارنة : عموديا . بين القبائل في الحركة نفسها وأفقيا بين القبائل والعشائر في حركات مختلفة .

جـــــدول عدد 1

القادة المشاركين من قبيلة تميم في حركة المختار		
الإسم	ج . ص من طبري	المسؤولية في الحركة
ضبيان بن عمارة التميمي	ج 7 ص 127	أحد النفرين الذين بعث معهما المختار برأس عمر بن سعد إلى بن الحنفية .
ضبيان بن عثمان التميمي	ج 7 ص 136	سرحه المختار في 400 فارس لنجدة بن الحنفية المحاصرمن قبل بن الزبير في مكة

المصدر : أطروحتنا، أصول القيادات الشيعية ص 547 .

ب – تحويل المعطيات المرتبة إلى أرقام ونسب دقيقة(18) :

وهي عملية تقنية حسابية وإحصائية تعمد إلى تحويل الكيف المجمع إلى كم مرقم بحيث تصبح المعطيات الكيفية متوارية وراء أرقام فمع كل حركات الشيعة نحاول أن نعرف داخل كل قبيلة مساهمة كل عشيرة ونكرر هذه العملية مع كل حركة وعند استكمال التجميع والترقيم يكون من اليسير تحويل الأرقام إلى نسب مائوية حسب المؤشرات العامة والتقسيمات المهيئة في تصور عناصر البحث .

(18) انظر الجدول رقم 2

لمزيد تعميق الجانب النظري انظر P. CHAREILLE, un outil pour la comparaion du corpus historique, la notion de différence statistiquement significative dans : cocaud op . cit p.147

جـــــــــدول عدد 2

قادة المختار في مختلف مراحل حركته وحكمه			
عـــــدد	القبيلة أو العشيرة	% العرب من دون الموالي	% العرب باعتبار الموالي
مضر	12	20.33	20.68
ثقيف	1	1.69	1.73
قيس عيلان	7	11.8	12.06
تميم	*2	*3.38	*3.45
كنانة	1	1.69	1.73
أسد	1	1.69	1.73

المصدر : أطروحتنا : أصول القيادات الشيعية ص 471 .

* أصبحت تميم في هذا الجدول رقما يساوي مشاركتها ونسبة تعادل قيمتها .

ج – مقارنة مضامين الجداول(19) :

عند الحصول على أكثر من جدول مرقم ومصحوب بالنسب الملائمة يمكن القيام بعمليات متعددة في إطار هذا المنهج االكمي، وتعتمد هذه العمليات على المقارنة والمقاربة بين النتائج الجاهزة للوحدات المدروسة وإقرار الأحكام واستخلاص النتائج بناء على عناصر ثابتة من صميم النص ، ويكون ذلك بوضع جدولين أو أكثر في مقارنات عمودية وأفقية حسب الإمكانات المتاحة من ذلك أننا في بحثنا حول قيادة حركات الشيعة، استخرجنا بالأسماء والأرقام والنسب كل براهين تراجع القيادات من ربيعة لصالح القيادات اليمنية ثم ركزنا على تراجع القبائل الهمدانية منها على الخصوص . وفي إطار أشمل تبين تراجع القيادات العربية لصالح الموالي وعامة غير العرب في الطور السري بعد فشل حركة المختار واغتصاب البيت العباسي القيادة العلوية لتحقيق أغراضه كما يظهر جليا في الجدول التالي :

(19) نقوم بالمقارنة والمقاربة ضمن الفقرات والعناصر التي تستوجبها خصوصية المسألة كدور قبائل همدان في حركة الشيعة أو تراجع الفعل القيادي القرشي في حركة الشيعة .

جـــــــدول عدد 3

جملـــة مشاركات القيادات في كل الحركات الشيعية			
القبيلـــــــة	العـــــدد	النسبة باعتبار الموالي	النسبة دون اعتبار الموالي
اليمن	91	53.21	56.17
مضر	54	31.57	33.33
ربيعة	17	9.94	10.49
جملة غير العرب	9	5.56	
الموالي	6	3.50	
العبيد	1	0.58	
مجهولو النسب	2	1.16	
جملة العرب	162	94.73	100
المجموع العام	171	100	

المصدر : أطروحتنا القيادات الشيعية ص 551

د – تحويل نتائج الجداول المرقمة إلى رسوم بيانية(20) :

يكون تجاوز الأرقام ومافيها من كثرة وكذلك النسب لما فيها من دقة بوضع رسوم بيانية تعطي الإرتسام العام للدارس وتمنحه المقارنة السريعة بالعين المجردة دون الحاجة إلى فحص المعطيات في تفاصيلها. والرسوم البيانية هي أدوات إيضاحية معبرة تقوم على الإختزال دون التنازل عن الغاية التي تقوم عليها الدراسات الحديثة وهي سرعة الاستنتاج ونجاعته .

وفي عملنا حول قيادات الشيعة كانت للرسوم البيانية أهمية بالغة في تأكيد النتائج التي بلغناها بحد الأرقام والنسب كما يظهر في البيانات التالية التي تمثل دور قيادات القبائل العربية وتفاوت مساهمتها في مختلف الحركات الشيعية ومقابلتها بدور غير

(20) انظر لتدعيم الجانب النظري حول التجسيم البياني :

A-M GUIMER - SORBETS, Apport des technologies multimédias pour la conception de systèmes d'une formation historique et archéologique, Cocaud, op cit p 175 .

العرب من موالي وعبيد لتفنيد الرأي القائل بأن حركة الشيعة كانت بالأحرى حركة موالي لاغير وهو من الأخطاء التي سعينا إلى تقويمها وإزالة صداها .

رسم بياني عدد I

تطور مساهمة قيادات ربيعة والقادة من غير الأحرار في حركات الشيعة إلى حد المختار

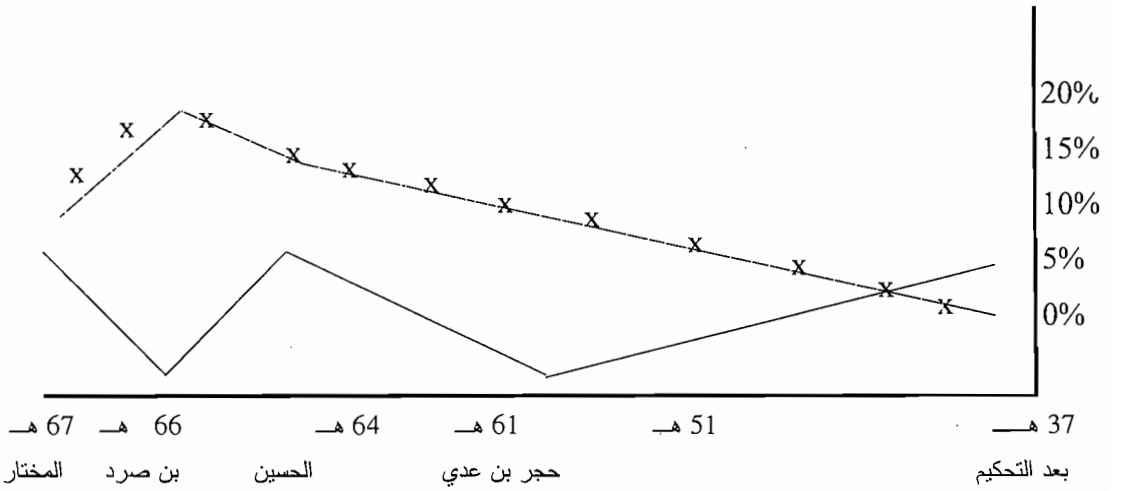

------ قيادات غير الأحرار (موالي وعبيد) غير العرب

+ --- + قيادات ربيعة

المصدر أطروحتنا : أصول القيادات الشيعية ص 467

و- تدعيم البيانات بالاشكال التمثيلية(21) :

وهي في الواقع عملية تكميلية تعمد إلى مزيد توضيح ضروب التفاوت بما توفره علوم الإيضاح والتقنيات الضخمة في علوم الإحصاء وهذه العلوم عند الفلاسفة تؤدي بدقتها إلى إثبات الحتمية وإبراز " مذهب إقراري " (déterministe) قائم على الحجة

(21) انظر حول دور الكميات بواسطة الحاسوب للتمثيل بالأشكال

- Les outils informatiques et l'antiquité, Cocaud, op cit p 193
- Histoire image et informatique, Cocaud, op . cit p 201

الناتجة عن الاحصاء لما هو إنساني[22] وهو مجال أصبح على ما فيه من دقة، سريع التنفيذ، لامتناهي الامكانات، بفضل الحاسوب إذ يعطي فرصا لإبراز الخصائص، لاعلى مستوى التطور فحسب، بل وخاصة ما يهم تفاوت الأحجام وهي في الأصل القاعدة الأولى للمقارنات الكمية التي تبسط المعطيات المعقدة وتجردها من خصائصها الداخلية لتكتفي بالمظهر العام في مستوى التطور والحجم . وقد عمدنا في بحثنا حول قيادات الشيعة إلى مزيد الإفصاح عن أهمية نتائجنا بإدماج هذه التقنيات كما يظهر في تمثيل بيانات إنتماءات قادة حركة الحسين بن علي في كربلاء وما سبقها مع ابن عمه في الكوفة بالذات .

الرسم عـــدد II

نسب مشاركات القيادات ضمن القبائل العربية ومن غير العرب في حركة الحسين

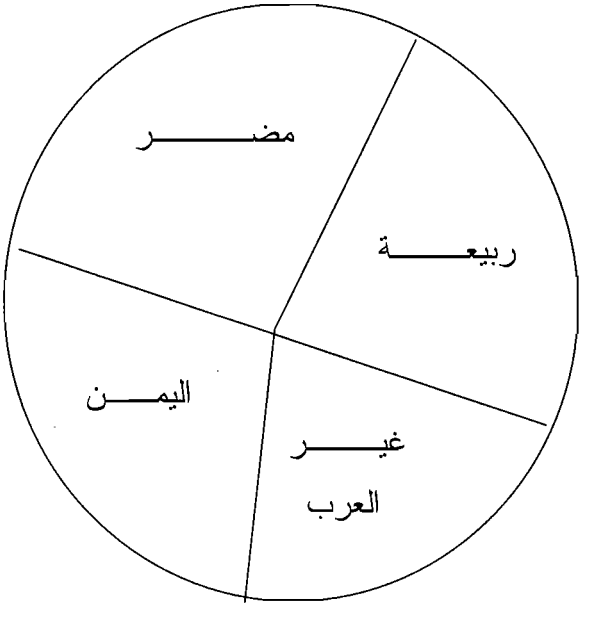

المصدر : أطروحتنا أصول القيادات الشيعة ص 556

[22] Lalande , op . cit p 869

III – المنهج الكمي بين الإمكانات والحدود :

1 – إمكانات استغلال المنهج الكمي :

تبدو إمكانات استغلال المنهج في التراث العربي المدون كما هو في التراث الإنساني عامة غير متناهية خاصة إذا أخذنا بمقولة المفكرين Richard و Troost " من أن الكمي ليس بالضرورة مصحوبا برقم[23] " وهو ما يؤكده Cournoe بقوله " إن الكمي هو كل ما له صفة التعددية، فإذا توفرت فإنه يكون بالضرورة خاضعا للعمليات الثلاث الارتيمية " [24] لذلك فإن فهمنا استغلال المنهج الكمي وتطويعه لوسائل الإيضاح يمكن أن يتجاوز مجرد التكميم بالرقم والنسبة لاعتناق إمكانات أخرى، يكون فيها الباحث مستنبطا لوسائل بياناته وإيضاحاته على أساس إبراز التطور والحجم ومظاهر الاختلاف والتباين لذلك لاتوجد طريقة واحدة لاستغلال المنهج الكمي تجاه معطى قابل للتكميم بل وعلى غرار ما يقوله Ladury Emmanuel LEROY : يتحول المؤرخ إلى ذلك المنهجي le méthodique الذي يحسب وينظم بمناهج يستقل بها، فيصبح خلاقا بحق[25] . لذلك لن يتيسر سوى تقديم الإمكانات التي امتحنا نجاعتها باخضاعها للحقل التجريبي والميداني. فمن جملة إمكانات استغلال النظريات الارتيمية والهندسية والقيسية لمصادرنا التراثية العربية وتطبيقها نجد الوسائل الإيضاحية التالية:

أ – إدراج النظرية القرتيزية :

عند حصولنا على معطيات كمية منقوصة ومتباعدة نكون في حاجة إلى تسديد مواطن الفراغ وذلك بضبط نسب التطور وسحبها على مواطن الشغور في الجداول ذات القاعدة القارة والقائم المتغير.

ومثال ذلك أنه عند محاولة معرفة تطور عدد سكان الكوفة منذ التمصير وفي مختلف ردهات قيـــام الثورات الشيعية إلى منتهى الفترة الأموية لم تسعفنا المصادر وخاصة منها أنســـاب البـــلاذري (ت 277 هـــ) وتاريخ الطبري إلا بومضات موجزة

---

[23] Ibid

[24] Ibid, Cournoe Antoine Augustin , économiste mathématitien (Paris 1801-1877) un precurseur de l'épistémologie .

[25] LEROY Ladury op . cit T 2p. 18

[26] تفيد العلامة * ضمن الجدول 4 المعطيات التي توفرت في المصادر أما بقية الأرقام فتم استخراجها باعتبار نسبة نموديمغرافي عادية مع احتساب التراكم في كل مرة.

لمراحل متباعدة فالتجأنا إلى النظرية القرتيزية للحصول على إجابات منطقية لسد الثغرات العديدة انطلاقا من المعطيات المتوفرة[26] كما يتوضح في الرسم الموالي :

جدول .عدد 4

تقدير التطور الديموغرافي في الكوفة منذ عهد زياد إلى فترة المختار				
السنة	تطور عدد السكان		السنة	عدد السكان
	المقاتلة	العيال		المقاتلة	العيال
53 هـ	60.000 *	80.000 *	60 هـ	68.920	91.895
54	61.200	81.600	61	70.298	98.734
55	62.424	83.232	62	71.704	95.609
56	63.672	84.897	63	73.130	97.521
57	64.945	86.595	64	74.601	99.471
58	66.244	88.327	65	76.093	101.460
59	67.569	90.094	66	77.615	103.489

المصدر : انتماءات قادة المختار الثقفي (شهادتنا في الكفاءة في البحث مرقونة 1983)

* الأرقام التي وجدناها في المصادر : البلاذري والطبري وقمنا بتطويرها .

ب – استعمال جداول التقابل والتكثيف لمعطيات المصادر :

وهي عبارة عن اختزال للمواد الأدبية النصية في شكل جداول تخضع لمُقاييس التكثيف وتجعل العناصر المعدة للتجميع بما يوحدها متقابلة، وسهلة المقارنة، يسيرة الإستعمال، فيحصل التعرف على محتويات مصادر مطولة بواسطة جداول شديدة الاقتضاب حسب التصور الذي يسبق عملية الجدولة للاستجابة لأغراض الدراسة[27]

---

[27] قام عبد المجيد قطامش بوضع قائمة في مجمعي الأمثال العربية (دار الفكر العربي 1988) وقد تبينا من خلال دراسة قمنا بها حول "البحر في الأمثال العربية " أن الجدول غير مكتمل، فقمنا بإضافة تختزل أسماء المجمعين في الفترة الكلاسيكية يظهر في كتاب " الإنسان والبحر" أشغال ندوة دولية بقرقنة ماي 1999 . صدرت في جانفي 2001 تحت إشراف عبد الحميد الفهري منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس بالإشتراك مع جمعية التاريخ والجغرافيا بصفاقس ومركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية .

وقد اختبرنا هذه الطريقة الكمية في دراسة حول تجميع الأمثال العربية وتوصلنا إلى تقديم جل المعطيات حول تقسيم الفرق عند المصنفين المسلمين بما يسمح بتعديد القراءات والاستنتاجات كما يظهر في جزء من الجدول التالي :

جـــــدول عدد 5

قائمة إضافية لمجمعي الأمثال في الفترة الكلاسيكية لم يذكرهم قطامش		
المجمعين	هجري	ميلادي
الترمذي	قرن III	قرن 9
الماوردي	450	1030
الرمحرموزي	360	940
حنين بن اسحاق	291	870
أبو شيخ	369	919
الطلقاني	385	965

ج – التوضيح بواسطة أشكال تداخل المجموعات l'inclusion :

وهي القاعدة الرياضية التي تعطي عند التشكيل الهندسي هامشا أو واديا مشتركا للعناصر المنتمية في الوقت ذاته إلى مجموعتين مختلفتين .

وقد التجأنا إلى هذا الصنف التوضيحي الرياضي لنبرهن عند دراستنا للفرق الإسلامية على أن مسألة قيام هذه الفرق ليست آلية أو منعزلة بعضها عن بعض بل أن التداخلات بينها لاتقف فقط في مستوى الآراء والأقوال وإنما أيضا في مستوى الرموز التي كانت وراء تسميتها وقيامها لذلك نجد من الفرق ما هو محسوب على مجموعتين في ذات الوقت[28] كما يبرهن على ذلك الشكل التالي :

انظر كذلك دراستنا الكمية اعتمادا على هذا المنهج في مقالنا "البحر في النص : القرآن والسنة " أعمال ندوة المتوسط الوسيط صفاقس 1998 . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس 2001 .

[28] يسمي الرياضيون هذه الطريقة بالمنهج التداخلي Méthode des interactions

الشكل عدد III

التقاطع بين الفرق الهاشمية والأمامية

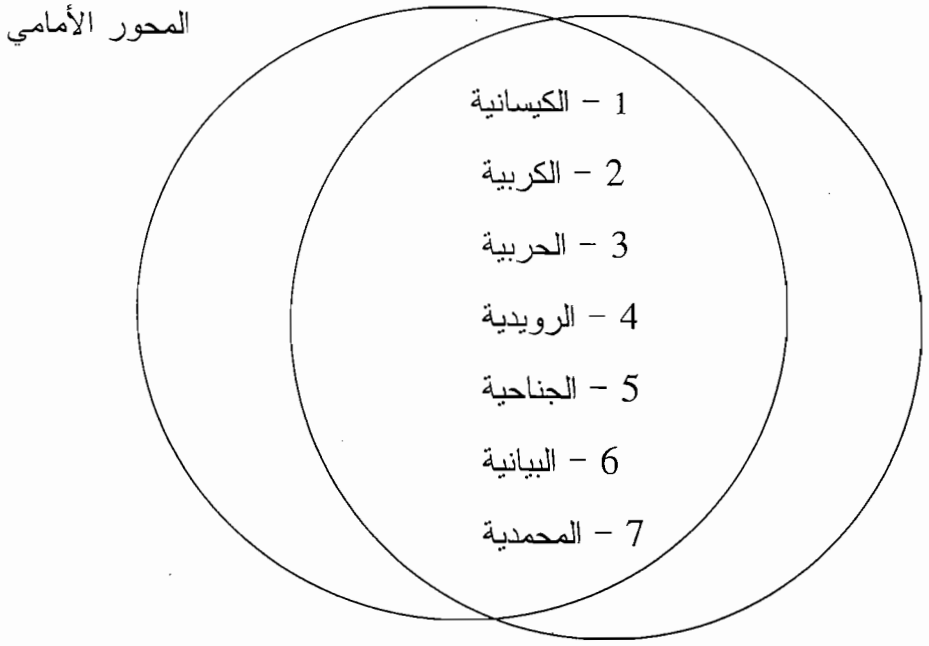

المصدر : كتابنا مناهج مصنفات الملل والفرق والنحل دار محمد علي للنشر 1998 ص 60

د – المقارنة بواسطة الأشكال الشعاعية والمحورية :

وتتمثل هذه الطريقة في وضع معطيات متعددة تحوم حول المحور نفسه على قاعدة مقارنة موحدة إذ يتطلب الإيضاح التكثيف والتقابل لمعطيات متفرقة يجمعها جذع واحد لذلك يكون الشكل الشعاعي ذو المحور الواحد هو الأنسب لمثل هذه المقارنات .

وقد استنجدنا بهذا النموذج الهندسي عند تجميع الفرق المحسوبة على أصل واحد ولكن جاء ذكرها متفاوتا ومختلفا من مصنف إلى آخر لذلك وجب وضع كل هذه المعطيات على شاشة واحدة لاتجمع بينها سوى دراسة علم الفرق عند العرب كما يظهر في الرسم التالي :

رسم بياني رقم 4

توسع علي في انتداب قياداته

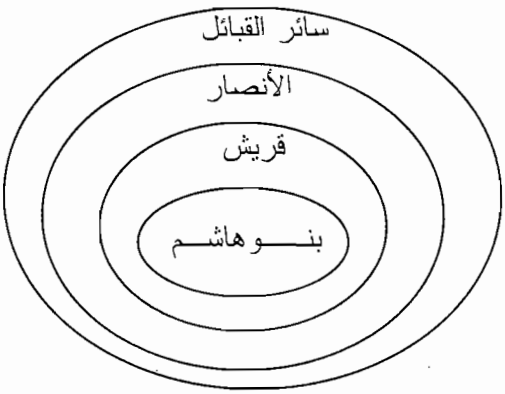

المصدر : كتابنا : مناهج الملل . ص 165.

هـــ – الاختزال بواسطة رسم أشجار الترابط والتواصل في النسب :

وهي تقنية قديمة عند العرب تعنى بتمثيل شجرة النسب كما هو واضح في مؤلف ابن الكلبي[29] وتقوم هذه العملية على أساس تشكيل الترابط بين الأصول والفروع للأجناس البشرية بتتبع التواصل والقطيعة في الأنساب والسلالات كما يقدمها النسابون . فنحصل على شجرة نسب المجموعة سواء كانت قبيلة أو عشيرة أو جنسا بشريا بأصوله وفروعه كما هو في تصور أسلافنا وقد استنجدنا بهذه الطريقة الايضاحية القديمة لتجسيم سلالات الشيعة الذين لهم علاقة بالحركات .

وفي هذا الصدد تم بواسطة هذه الطريقة تمثيل شجرة نسب البربر كما يقدمها ابن حزم إذ صور هذا الجنس البشري تماما مثل العرب متفرعين عن جدين أولين كما يبدو واضحا في الرسم التالي :

---

[29] سمح كتاب هشام ابن الكلبي (ت 204) اختزال أنساب القبائل اليمنية في 157 شكلا تساهم في فهم علم النسب عند العرب. راجع : نسب معد واليمن الكبير تحقيق محمود فردوس العظم الجزء الثالث (المسجرات)

شكـــل عـــــدد V

قسم من شجرة أنساب البربر حسب ابن حزم

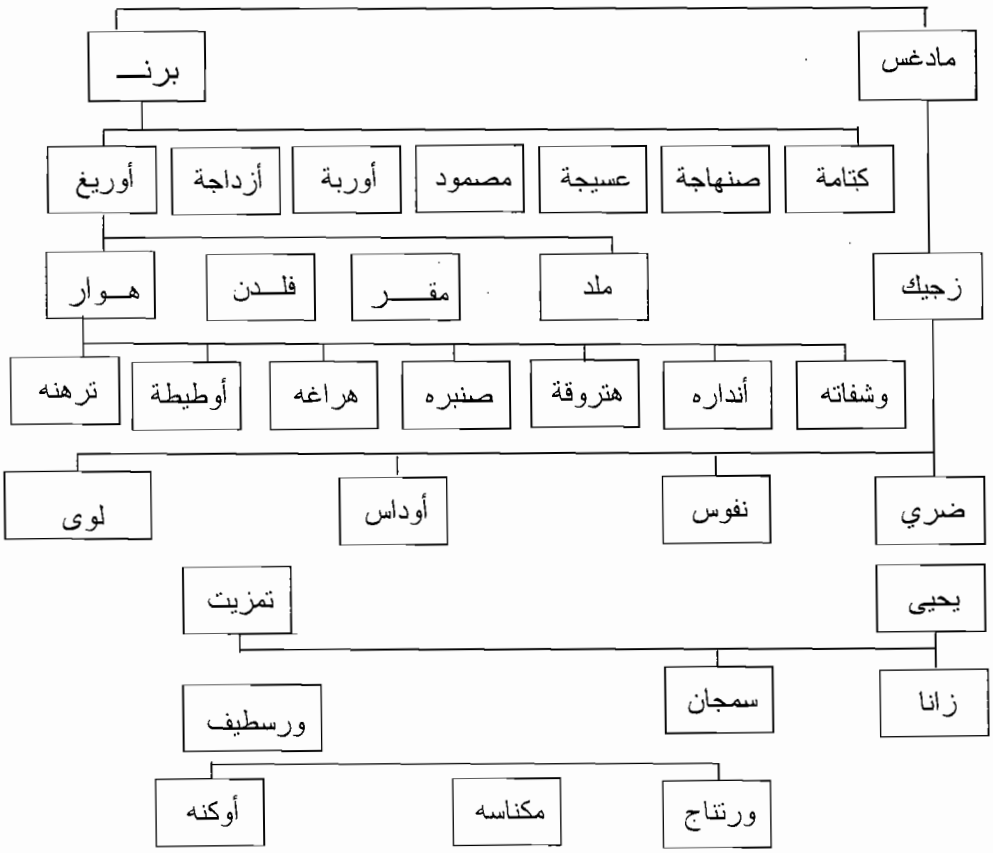

المصدر : الفهري، البربر من خلال المؤلفات العربية إلى حد ابن خلدون الكراسات التونسية العدد 162 سنة 1992 ص 123 .

9 – التمثيل بتحويل المعطى النصي إلى شكل خرائطي :

وهي طريقة هامة لتصوير خرائط الأماكن في الأزمنة السابقة والتي لم تبق لنا المصادر تمثيلا لها . فبفضل بعض النصوص الوصفية للرحالة والبلدانيين يمكن ترتيب المواضع بمساعدة علم الخرائط "الخرطوغرافيا" في الوقت الراهن وهو ما يساعد كثيرا على معرفة أسماء المدن المندثرة والأسماء القائمة منها في الأزمنة البعيدة.

وقد مثل بالنسبة لنا نص اليعقوبي (ت 184 هـــ) وثيقة دقيقة لرسم بعض مواطن البربر ضمن خريطة تعود إلى فترة تعريب جل هذه القبائل وهو مايوافق إلى حد بعيد ما أورده ابن خلدون بعد زهاء ستة قرون كما هو في الخريطة التالية[30] .

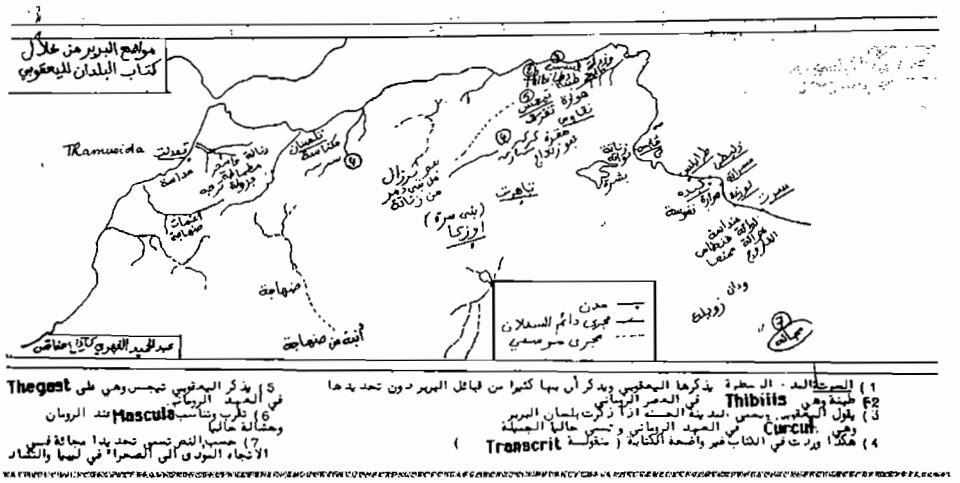

المصدر : الفهري، البربر، المصدر السابق ص 124 .

II – حدود الإستعمالات الكمية :

وتبقى إمكانات استغلال وسائل الإيضاح الكمي متعددة ولكن ورغم شعورنا بالرغبة في مزيد من الدقة والتعمق فإننا أيضا في حاجة إلى الإنتباه إلى حدود هذا المنهج عملا برأي الباحث G.Devereux الذي ينبه من مغبة تحويل العلوم

[30] انظرخريطة توزيع البربر في شمال افريقيا اعتمادا على كتاب البلدان لليعقوبي : الفهري، البربر مصدر سابق .

الإنسانية إلى ساحة تكميم مكلسة وخرساء وآلية لاهي في العلوم الصحيحة ولاهي في العلوم الإنسانية .

فلئن كانت مزايا استخدام المنهج الكمي أكثر من أن نعددها في ومضات سريعة فلا بد من الإنتباه إلى الوجه الثاني لهذا السلاح ذي الحدين . فيقابل الجوانب الايجابية مظاهر يمكن أن تصبح خطيرة يجدر بالباحث أن يحذرها، فأولا وقبل كل شيء لايجوز أن يعوض المؤرخ (أو غيره في شتى فروع العلوم الإنسانية) تقني أو رياضي، فبحكم الشرط الأول وهو الإنطلاق من المصادر والتعمق في معرفة الوثيقة لإمكانية تفكيكها واستنباط المعطيات منها حسب المقاييس المضبوطة، فإن على المؤرخ أن يحسن بنفسه استعمال المناهج الكمية ويكتفي عند الاقتضاء بطلب التوضيحات فيما هو تقني صرف لاغير .

كما أن التكميم في حد ذاته ليس غاية بل مجرد وسيلة لتطويع الوثيقة وتحليل المضامين الغامضة فيها لذلك يجدر اجتناب هذا المنهج عند الاحساس بعدم تلاؤم معطياته مع التقنيات المعهودة أو المستبطنة للغرض .

فالتكميم ليس إلا مساعدا ومكملا هذا علاوة على أن تطبيق هذا المنهج ليس بالأمر اليسير في كل الحالات ومع كل الوثائق فنلاحظ أن قدر الصعوبة والاستعصاء يزداد كلما انتقلنا من الفترة المعاصرة في اتجاه التاريخ القديم. وهذا شأن بديهي فالقصور والعجز عن التكميم لأقسام كبرى من التاريخ البشري ليس دليلا على ضعف المنهج الكمي وإنما دليل على أن الكتابة كلما ازدادت رسوخا في القدم إلا وضعفت فيها الاشارات المضبوطة لا فيما هو كمي فحسب وإنما كذلك فيما هو زمني ومكاني، فالموجودات جميعها ليست إلا علامات فاترة لا تخضع إلى مفاهيم ولا مقاييس ومكاييل واضحة. وتتضاعف صعوبة الضبط الكمي أيضا حسب حقول البحث والتنقيب، فإذا تيسر إلى حد ما استخدام المنهج الكمي فيما هو ديمغرافي وفيما يتصل بالأنساب والاعلام فإن إمكانات البحث تصبح أعسر في ميادين الاقتصاد لضعف الإشارات المتصلة بها في المصادر.

إن استعمال المنهج الكمي في العلوم الإنسانية وفي ميدان الدراسات التاريخية بالذات يأخذ شرعيته من إحدى تعريفات التاريخ بالذات " إذ يمثل مجمل المعارف النسبية المتصلة بتطور الإنسان في علاقاته بالموجودات". لذلك فإن مفهومي النسبية والتطور في حد ذاتهما يبقيان مفاتيح لضبط وتحديد الأنساق ودرجات التطور وأحجامها. فإقحام المنهج الكمي لا يخرج من صميم تماشي المعارف الأدبية والتاريخية على الخصوص من مزيد تعميق البحث لفهم منطق التحولات التي واكبت علاقة الإنسان بالكائنات من جهة ثم التحولات الذهنية الضخمة التي عرفها الإنسان بالذات بفعل هذه المواكبة .

وهذا المنهج الكمي يفترض بحق التوغل في جوهر الوثائق بتفكيكها وإعادة تركيبها حسب غايات نرسمها بمعزل عن طبيعة النتائج. لذلك فإن هذا المنهج يحتاج إلى كثير من الدقة والحذر عند دخول مغامرة المعرفة من آفاقها الرحبة وأبوابها الصعبة حتى نقطع مع النظرة المتكلسة في البحث القائمة على التكرار والاجترار. لذلك وجب السعي إلى تقليص البون بين مناهج البحث في الأوساط الأكاديمية الغربية والأوساط الشرقية، خاصة وأن المادة التراثية في الحضارة العربية والاسلامية غزيرة ومازالت في معظمها تتطلع إلى من يجني ما فيها من درر لا تقيم بثمن. ولكن هذه الوثائق والكنوز المصدرية يجب أن لا تستعمل خاما بإعادة نقل مضامينها إلى البحوث كمواد استشهاد فقط، فمهما كانت قيمتها فليست سوى تعبير عن الوضعية الذهنية لأسلافنا الغابرين. فالمصادر محكومة بزمنيتها وبظرفيتها، لذلك فإن مواصلة البرهنة والإستدلال بنقل الشواهد على ما فيها من عموميات وغموض لن يساهم كثيرا في فهم التاريخ من زوايا العصر الراهن .

وحتى يصبح المؤرخ "متصرفا في المعارف بتقنيات مختلفة وخلاقا مستنبطا لوسائل ونتائج لم تكن ممكنة عند الإكتفاء بالمناهج التقليدية " كان من الحتمي أن يواكب عصره باستنباط وسائله. وهنا وجب إعتناق هذه المناهج لتطوير التراث العربي القابل بالحجة والدليل التكيف مع سائر المناهج والمدارس وهذه الدراسة بأكملها هي محاولة لإقامة البرهان على قدرة التراث العربي المكتوب التأقلم مع كل المناهج العلمية الحديثة بما فيها الاستعمالات الكمية .